

الرَّسَالَةُ ٧٠

اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ

(Arabic - Abide in me, and I in you.)

أَحْبَائِي: مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنِ قَوْلِ الرَّبِّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ: اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ

وَمِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ عَشَرَ نَقْرَأُ الْعَدَدَ الرَّابِعَ:

"اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ.. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ.. إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ.. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ".^١

إِنَّ قِيَمَةَ أَيِّ غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ الْكَرْمَةِ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَا يَحْمِلُهُ مِنْ ثَمَارٍ. وَلَكِنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ مِنْ ذَاتِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ. فَهُوَ يَسْتَقْبَلُ الْغُصَارَةَ اللَّازِمَةَ لِتَغْذِيَتِهِ وَلِنُمُوهِ وَإِثْمَارِهِ مِنَ الْأَصْلِ. وَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَحْصَلَ الْغُصْنُ عَلَيْهَا دُونَ ارْتِبَاطٍ وَثِيقٍ بِالْكَرْمَةِ.. فَالْغُصْنُ فِي حَاجَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ لِهَذِهِ الْغُصَارَةِ وَحَيَاتِهِ تَتَوَقَّفُ عَلَى مَدَى جَرِيَانِ تِلْكَ الْغُصَارَةِ فِيهِ.. وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَمِدَّهَا مِنَ الْكَرْمَةِ الْأَصْلِيَّةِ طَالَمَا كَانَ ذَلِكَ الْغُصْنُ حَيًّا.. وَالْكَرْمَةُ الْأَصْلِيَّةُ بَعْطَائِهَا الدَائِمُ لِلْأَغْصَانِ الَّتِي تَحْمِلُهَا تَهْبِئًا حَيَاةً وَتَصْبِحُ الْأَغْصَانُ قَادِرَةً عَلَى الْإِثْمَارِ.. مِنْ هُنَا نَعْرِفُ لِمَاذَا قَالَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لِتَلَامِيذِهِ: "اثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ".. مُشْبِهًا نَفْسَهُ بِالْكَرْمَةِ وَنَحْنُ بِالْأَغْصَانِ.. وَيَلْزِمُنَا كَيْ نَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَنْ نَثْبُتَ فِيهِ ثَبَاتَ الْأَغْصَانِ فِي الْكَرْمَةِ.. وَمَنْ هُوَ ثَابِتٌ فِي الْمَسِيحِ يَسْتَمْتِعُ بِامْتِيَازِ ثَبَاتِ الْمَسِيحِ فِيهِ.. لِأَنَّ لِحَيَاةِ فِيْنَا بَدُونَ تَوَاجُدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِيْنَا.. وَلَا ثَمَارَ تَرْجَى مِنَّا إِلَّا بِثَبَاتِنَا فِي الْمَسِيحِ وَثَبَاتِ الْمَسِيحِ فِيْنَا لِذَلِكَ قَالَ الرَّبُّ لِتَلَامِيذِهِ: "الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ لِأَنَّكُمْ بَدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا".^٢

إِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ لَيْسَتْ اسْمًا نَطْلُقُهُ عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نُطْلِقُهُ النَّاسَ عَلَيْنَا. إِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ هِيَ حَيَاةٌ فِي الْمَسِيحِ. وَالحَيَاةُ فِي الْمَسِيحِ هِيَ الْحَيَاةُ الْمُثْمَرَةُ.. فَمَا أَحْوَجُنَا نَحْنُ.. كُلٌّ مِنْ قَبْلِ الْمَسِيحِ مُخْلِصًا لَهُ وَصَارَ لَهُ تَلْمِيذًا إِلَى سَمَاعِ قَوْلِ الرَّبِّ: "اثْبُتُوا فِيَّ (لِحَاجَتِكُمْ إِلَيَّ) وَأَنَا فِيكُمْ (لِأَعْطِيكُمْ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ لِتَثْمُرُوا).. لِأَنَّكُمْ بَدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا".. إِنَّ التَّلْمِذَةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَعْنِي الثَّبَاتَ فِي الْمَسِيحِ وَعَدَمَ الثَّبَاتِ فِيهِ تَلْمِذَةً بَاطِلَةً.. لِأَنَّ التَّلْمِذَ غَيْرَ الثَّابِتِ سُرْعَانَ مَا يَرْتَدُّ إِلَى الْوَرَاءِ.. إِنَّ الْأَغْصَانَ الثَّابِتَةَ فِي الْكَرْمَةِ تَأْتِي بِثَمَارٍ وَهَذَا يُقَوِّمُ الْكِرَامَ لِأَيِّ ثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَمَّا الْغُصْنُ غَيْرَ الثَّابِتِ فِي الْكَرْمَةِ فَهُوَ مُعْرَضٌ لِلذُّبُولِ وَالْجَفَافِ ثُمَّ الْمَوْتِ.. لِأَنَّ لَيْسَ هُنَاكَ مَا يَرْبِطُهُ بِالْأَصْلِ.^٣

كثيرون يدعون أنهم تلاميذ المسيح ولكن ليس هناك ما يربطهم به إذ ارتبطوا بالعالم الشرير. وكل من ارتبط بالعالم الشرير انفصل عن الإله الحي وهو تحت سلطان إبليس.. قال السيد المسيح: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِيَّ يَطْرُقُ خَارِجًا".. كَانَ يَهُودًا الْإِسْخَرِيُوطِي مَحْسُوبًا ضَمَنَ التَّلَامِيذَ وَلَكِنَّهُ كَانَ غُصْنًا جَافًا فَهَلْكَ.. وَكَانَ حَنَانِيَا وَامْرَأَتُهُ سَفِيرَةً مَحْسُوبِينَ ضَمَنَ اتِّبَاعَ الْمَسِيحِ بَعْدَ يَوْمِ الْخَمْسِينَ وَلَكِنَّهُمَا اتَّفَقَا عَلَى الشَّرِّ وَكَذِبًا فَنَالَا قِصَاصَهُمَا.. وَكَانَ دِيمَاسَ وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَى زَمْرَةِ تَلَامِيذِ الرَّبِّ وَرَافَقَ بُولُسَ الرَّسُولِ حِينًا.. ثُمَّ تَرَكَهُ إِذ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ.. هُوَ لَئِنْ لَمْ تَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ وَبِالنَّالِي لَمْ تَثْبُتْ الْكَرْمَةُ فِيهِمْ وَلَمْ يَأْتُوا بِثَمَرٍ.. قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنِّي فِي حَيْرَةٍ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَغْصَانِ أَحْسِبُ نَفْسِي؟! مَا مَوْقِفِي مِمَّا أَسْمَعُ الْآنَ؟!.. هَلْ أَنَا غُصْنٌ قَابِلٌ لِلْإِثْمَارِ؟!.. أَمْ أَنَا غُصْنٌ مَحْسُوبٌ عَلَى الْكَرْمَةِ وَلَا يُوجَدُ فِي رَجَاءٍ؟.. مَاذَا يَبْنِي أَنْ أَفْعَلَ؟^٤

أخي الحبيب.. لَيْسَ بَيْنَ ذَقْتِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَيِّ كَلِمَةٍ تَحْوِي مِنْ قَرِيبٍ أَوْ مِنْ بَعِيدٍ مَعْنَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ رَجَاءٌ.. فَكُلُّ مَا كَتَبَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يُفِيدُ بَأَنَّهُ يُوجَدُ رَجَاءٌ لِلْجَمِيعِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ.. بَلْ إِنَّ مُجَرَّدَ إِصْغَانِكَ الْآنَ لِمَا تَسْمَعُ يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ لَكَ بَابًا لِلرَّجَاءِ.. إِنَّهَا دَعْوَةٌ مِنَ اللَّهِ الَّتِي يُحِبُّكَ كَيْ تَثْبُتَ فِي الْمَسِيحِ لِتَثْبُتَ فِيكَ.. بَعْضُ النَّظَرِ عَمَّا تَرَاهُ فِي نَفْسِكَ أَوْ مَا يَرَاهُ غَيْرُكَ فِيكَ فَهَلْ تَأْتِي إِلَيْهِ؟.. "لَأَنَّ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل يوحنا ١٥ : ٤

^٢ إنجيل يوحنا ٦ : ٦٦

^٣ إنجيل يوحنا ١٥ : ٦ & ١٧ : ١٢ ، أعمال الرسل ٥ : ١ - ١١ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٤ : ١٠

الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.. لأنه لم يُرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم.. انا بالتأمل في حديث يسوع المسيح لتلاميذه المذكور بإنجيل يوحنا الأصحاح الخامس عشر وما بعده.. نجد العوامل الأساسية التي تساعد المؤمن.. على الثبات في المسيح وثبات المسيح فيه كي يحيا قويا غالبا ويأتي بثمر إذا حفظها وتمسك بها.. ونحصرها في سبعة عوامل:

أولاً: كلام الله سراج لأرجلنا ونور لسيلنا.. قال السيد المسيح لتلاميذه: "أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به".. إن كلمة الله إذ تسكن فينا لها القدرة على تنقيتنا.. ولكن مجرد قراءة الكلمة أو سماعها وحسب لا يكفي.. مكتوب عن كلمة الله أنها فعالة.. ليتنا نعطيها المجال كي تكون فعالة فينا لتنقيتنا.. لنأتي بثمر.^١

ثانياً: الصلاة حسب مشيئة الله.. قال السيد المسيح لتلاميذه: "إن ثبتتم فيّ وثبتت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم".. هل يُحسب تلميذاً للمسيح من لا يواظب على اجتماعات الصلاة أو لا يشجع على إقامتها؟!.. إن تلميذ المسيح رجل صلاة ويحصل على قوته الروحية بسكب قلبه أمام الله في عرش نعمته.. والصلاة مدرسة يندرج فيها المؤمن حتى يختبر ماهية الصلاة المقتدرة.. وكيف يطلب ما يريد فيكون له.^٢

ثالثاً: حفظ وصايا الله وهي ليست ثقيلة.. إن المحبة هي جوهر الوصايا. هي رباط الكمال. قال السيد المسيح لتلاميذه: "كما أحبني الأب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي".." هذه هي وصيتي: أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم.. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه.. أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيتكم به.. بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً".^٣

رابعاً: فرح الرب هو قوتكم.. إن تلميذ المسيح يطلب فرح الرب الذي يختلف عن فرح العالم.. لأن فرح العالم وقتية أما فرح الرب فدائم.. يعتمد على الثبات في كلام الله لأن كلامه هو مصدر الفرح الحقيقي.. لذا يلهج المؤمن فيه نهاراً وليلاً.. قال السيد المسيح لتلاميذه: كلمتكم بهذا لكي تثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم.^٤

خامساً: الروح القدس الساكن فينا يرشدنا ويعزينا.. إن تلميذ المسيح يواجه اضطهاداً من العالم وبغضة.. قال السيد المسيح لتلاميذه: "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. إن كانوا قد اضطهروني فسيضطهروكم".. والروح القدس في المؤمن يقويه ويعطيه نصره وغلبة على الشر والأشرار. كتب يوحنا الرسول في رسالته الأولى يقول: "أنتم من الله أيها الأولاد وقد غلبتموهم لأن الذي فيكم أعظم من الذي في العالم".^٥

سادساً: شفاعة المسيح عند الأب السماوي.. قال المسيح في صلاته الشفاعة أمام الأب السماوي: "لسنتُ أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير. لسنتُ أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم".. وقال كاتب العبرانيين: "فمن ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله. إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم".. وقال يوحنا الرسول: "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار".^٦

سابعاً: انتظار مجيء الرب وطلب سرعة مجيئه.. كتب بولس الرسول في رسالته إلى تيطس الأصحاح الثاني العدد الثالث عشر يقول: "منتظرين الرجاء المبارك.. وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح".

قال السيد المسيح: "اثبتوا فيّ وأنا فيكم". فهل نلتب الدعوة؟. لبيتك أخي تصلي معي: أبانا السماوي.. أسألك أن تثبتني في كلامك وفي محبتك. انزع مني كل ما لا يتفق مع صلاحك وهبني أن أكون مُتمراً لمجدك.. فيدونك لا أقدر أن أفعل شيئاً أرفع صلاتي في اسم المسيح فاقبلني ربي يا من قلت من يقبلني إلى لا أخرجني خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

- ^١ إنجيل يوحنا ٣: ١٦ - ١٧ ، إنجيل يوحنا ٣: ١٥ ، الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٢
- ^٢ إنجيل يوحنا ١٥: ٧ ، الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٦ ، رسالة يعقوب ٥: ١٣ - ١٨
- ^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسي ٣: ١٤ ، إنجيل يوحنا ١٥: ٩ - ١٧
- ^٤ سفر المزامير ١: ٢ - ٣ ، إنجيل يوحنا ١٥: ١١
- ^٥ إنجيل يوحنا ١٥: ١٨ - ٢٧ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ١١ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ٤
- ^٦ إنجيل يوحنا ١٧: ١٥ ، ٢٠ ، الرسالة إلى العبرانيين ٧: ٢٥ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٢: ١ - ٢